

التجارة الرابحة مع الله تعالى



ربط القرآن الكريم القضايا التشريعية والتکوینية والروحية بـ“ربطاً محكماً” في ساحة الحياة البشرية.. وانطلق الكتاب الإلهي المحكم في معالجة الأمور الحياتية على نحوٍ متكامل، فشرع نظام العبادة في الإسلام، وأكّد على وجوب ممارسة القضايا التعبدية كالصلوة والصيام والحج والزكاة والخمس.. إلخ.. وشرع النظام الاجتماعي في الإسلام، الذي يتناول حقوق المرأة والجار، والوالدين، والإرث، والمعاشرة الزوجية، والتكافل الاجتماعي... إلخ.. وشرع النظام السياسي في الإسلام، فبلور مفهوم الإمامة كقيادة شرعية للأمة، ونهى عن تولّي الطالمين قيادة الأمة، ودعا إلى محاربتهم.. وشرع النظام الأخلاقي في الإسلام الذي يدعو الناس إلى التزام صفة التقوى في التعامل مع الأفراد، ومع المجتمع ومع الخالق سبحانه وتعالى.. وهكذا تعامل القرآن الكريم مع بقية الأمور الحياتية، فربطها بنقطة واحدة ومحور واحد، وهو رضى الله سبحانه وتعالى.. وعلى هذا المبدأ تناول القرآن الكريم، قضية التعامل مع الخالق سبحانه وتعالى، وبالأخص ذكر الله عز وجل، فربطها بواقعية الحياة، حتى لا يمتد بنا الأمل إلى رفض الحياة الاجتماعية الواقعية فتدخل عالم التصوف، المنقطع عن الحياة.. يقول سبحانه وتعالى، مذكراً المؤمنين بذكر الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ دِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحْهُوْ بُكْرَةً وَأَصْبَاهَا) (الأحزاب/ 41-42).. وفي ساحة القتال والشدة يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُطُوْ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

(الأنفال / 45). وفي حالة الرخاء.. يقول تعالى: (هَا فِظْوًا عَلَى الصَّلَوةِ وَالصَّلَةِ الْوُسْطَى وَقُوْمُوا لِتَّهِ قَانِتَيْنَ * فَإِنْ خَفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَازًا فَإِذَا أَمْنَتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (البقرة / 238).. وفي بيوت الله.. يقول تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخْلُفُونَ يَوْمًا تَتَقَبَّلُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (الذِّور / 36-37). ويقول أيضًا: (وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) (الحج / 40). وفي المنسك.. يقول تعالى: (وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَزْكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (البقرة / 203). وفي الخلوة مع النفس.. يقول تعالى: (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي زَفَرَتِ تَضَرُّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ الْفَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْغَافِلِينَ) (الأعراف / 205). ويقول تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّاهِ يَعْلَمُ وَالذَّهَارَ لَيَاتِي الْأَلْبَابُ * الْأَذْيَنَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَبْرَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُذُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَّا عَذَابَ الذَّارِ) (آل عمران / 191-190). وفي أثناء السعي في الحياة.. يقول تعالى: (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة / 10)، ويقول أيضًا: (فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) (البقرة / 200). والنقطة التي يهدف إليها القرآن الكريم من هذا العرض المتواصل للدعوة إلى ذكر الله سبحانه وتعالى هي أن يكون للإنسان المؤمن هدفًا أسمى من التطلعات الدنيوية المتداولة بين الناس، كجمع المال، والأولاد، والتفاخر، والاستعلاء.. فإنَّ ذكر الله سبحانه يبعث في النفس شعور الطمأنينة والتواضع والشفافية.. يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الْأَذْيَنَ أَمَدُوا لَتُلْهِكُمْ أَمْ وَالْكُمْ وَلَا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المนา فقون / 9).. وعندما يدخل الإيمان قلب الإنسان التائه.. ينطلق ذلك الشعاع الرباني لينقّي تلك النفس البشرية، فتتعود على ذكر الله سبحانه، وهنا يستقر القلب على حب الله، وتستقر النفس على السكون إلى رحمة الله سبحانه.. يقول تعالى: (الْأَذْيَنَ أَمَدُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

بِرَدْ كُرْ الـلـهـ تـطـمـئـنـنـنـ الـقـلـوبـ * الـأـذـنـ آمـنـوا وـعـمـلـوا
الـصــالـحـاتـ طـوـبـى لـهـمـ وـحـسـنـ مـآبـ) (الرعد/ 28-29). إنـ الإـنـسـانـ ذـكـرـ التـكـوـنـ
الـضـعـيـفـ، يـحـتـاجـ فـيـ فـهـمـهـ لـأـبعـادـ الـحـيـاةـ إـلـىـ صـلـةـ وـعـلـاقـةـ تـرـبـطـهـ بـالـخـالـقـ الـعـظـيمـ.. وـذـكـرـ إـلـهـ
سـبـحـانـهـ فـيـ كـلـ وـقـتـ، وـفـيـ كـلـ حـالـ، إـنـماـ هـوـ تـعـبـيرـ رـائـعـ لـهـذـهـ الـعـلـاقـةـ الـتـيـ تـحـقـقـ الـاسـتـيـعـابـ.
الـشـامـلـ لـمـفـرـدـاتـ الـكـونـ وـالـحـيـاةـ وـالـإـنـسـانـ..